[redacted]

الفصل الثامن

فات الميعاد فات، وبقينا بُعاد، بعاد؛ مطلع أغنية لأُمُّ كلثوم سَمِعَ مجاهد دندنتها السعيدة في نفسه؛ إذ مَالَ يفكر في تأخر اتصال م/أُمنية تخبر عن موعد حضورهم، فابتسم مستحييًا من قيام تلك الدَنْدنة السعيدة في نفسه!؛ وأخذ نفسه أخذًا، يعاود التفكير في شأن جماعة الإخوان؛ ففي مؤتمر صحفي - ورغم كل شيء - أعلن نائب رئيس الجمهورية:

- أن إجراء الاستفتاء في موعده، وأنه لو كانت نتيجة الاستفتاء نعم، سيتم التعامل مع مواد الدستور بتعديل المواد بوثيقة مكتوبة حتى لا تتعطل المرحلة الانتقالية؛ وإذا كانت النتيجة هي رفض الدستور حينها لابد من التوافق على تشكيل الجمعية التأسيسية الجديدة، وأبدى استياءه من الهتاف برحيل الرئيس:
- بعض المطالب سمعتها، والهتافات تجاوزت المسموح، والقياس على رحيل الرئيس السابق؛ والمطالبة برحيل رئيس منتخب تَحدّ لإرادة ١٢ مليون مواطن.

فرفعت الجماهير الكارت الأحمر للرئيس أمام الاتحادية يوم الجمعة ٧ ديسمبر، وطافت مشرف شوارع مصر مسيرات حاشدة، وقالت القوى السياسية: لا حوار.. فات الميعاد؛ ردًا لدعوة نائب الرئيس الجميع للمشاركة في حوار حول المواد الخلافية في الدستور الجديد بعد

الاستفتاء؛ وكان خطاب مرسي مساء الخميس قد أشعل حماس الثوار في ميادين التحرير بالقاهرة، والمحافظات فشهدت أمس مليونية الكارت الأحمر، وردد المتظاهرون: الشعب يريد إسقاط النظام؛ تندد بالخطاب.. وفي الساحة المواجهة لمسجد القائد إبراهيم بالإسكندرية، عقب صلاة الجمعة، احتشد الآلاف من المواطنين من القوى السياسية والحركات الثورية للمشاركة في المليونية، وطالب المتظاهرون الرئيس بالرحيل، وتسليم السلطة لرئيس المحكمة الدستورية العليا حقنًا للدماء.. وألقى خطيب ميدان التحرير؛ عضو حركة أزهري خطبة الجمعة من على المنصة الرئيسية بالميدان قائلًا:

- جماعة الإخوان تم تأسيسها على يد "..البنا " لخدمة المصالح الإنجليزية مقابل خمسمائة جنيه، وخيانة الجماعة لكل تعهداتها مع الرؤساء السابقين ثابتة كما حدث قبل وبعد ثورة ٢٥يناير!.. وقال:
- الأخ اللي قاعد في قصر الاتحادية لم يعد رئيسًا للجمهورية؛ بل متحدثًا إعلاميًا باسم مكتب الإرشاد، يقول بياناتهم ويعبر عن رأيهم؛ بعد أن خرجت مليشيات الجماعة بأوامر من مرسي لقمع المتظاهرين، وتَلَبُّسُ الجماعة ثَوْبَ الإسلام هو أشد خطرًا عليه من أعدائه، رأينا مشايخهم في مليونية الشرْعية والشريعة السبت الماضي يقولون: قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؛ وهو نفس اللفظ الذي استخدم في إحدى الغزوات ضد المشركين؛ فهل نحن مشركون؟! .. وانتقد أداء وزارة الداخلية قائلًا لها:

- اسْتحْيي؟، وهاجم بعض قيادات الجماعة، ونائب رئيس حزب الحرية والعدالة:
- الحمد لله الذي جعل للعريان من اسمه نصيبًا.. واختتم:
- الكذب دستورهم، والموت في سبيل الكرسي أسمى أمانيُّهم، زعموا أنني لا أنتمي للأزهر، وأنا أدعو مكتب الإرشاد كاملًا لمناظرة معي حول الشريعة، وكل ما يتعلق بمبادئ الإسلام.. وأمر المصلين بالدعاء لشفاء؛ الحسيني أبو ضيف الذي لقي رصاصة في رأسه حين تصويره ميلشيات الجماعة يوم الاتحادية، وهو الآن يرقد بين الحياة والموت ودعا في حُرْقة: اللهمَّ عليك بتجار الدين ؟؟.. وهتف المتظاهرون عقب الصلاة: ارحل، ارحل، يسقط، يسقط حكم المرشد؛ لا إعلان ولا دستور أنت يا مرسي عليك الدور..

وفي ذات اللحظة، في الجامع الأزهر احتشد الإخوان ومؤيدي الرئيس لصلاة الجنازة، وتشييع شهداء غزوة الاتحادية ممن سقط منهم في الاشتباكات، وأثناء الاستعداد للجِنَازة ألقى المرشد العام للجماعة كلمة وبكى:

- لزوال الدنيا أهون على الله من قتل نَفْسٍ مؤمنة، ومن حرض على القتل مطرود من رحمة الله.. فناداه مجاهد وهو يتابع إعادة بث حديثه عبر البرنامج المسائي الشهير:

-ابكِ أو تباكىَ يا مرشد الإخوان العام؛ فقد حكمت على نفسك؛ فمن غيرك دعا وخيرت الشاطر هؤلاء للذهاب للاقتتال؟.. وفي شبه لوْثة هتف الأتباع: بالروح بالدم نفديك يا إسلام.. فعقب مجاهد لزوجته:

- ذهابهم إلى الاتحادية كان دفاعًا عن كرسي مرسي؛ جعلوا يومها يهتفون، مرسي أَحقُّ بالكرسي..

وبرر الرئيس عدم التراجع عن الدعوة للاستفتاء؛ أن إعلان ١٩ مارس ٢٠١١ نَصَّ على إجرائه خلال خمسة عشر يومًا من تسليم مشروع الدستور، وكان قصر الرئاسة قد شهد قبل الخطاب اجتماعين لبحث الأزمة؛ الأول عقده نائب الرئيس مع اثني عشر شيخًا من شيوخ القضاء وفقهاء القانون تَضَمَّنَ اتفاقًا على فتح حوار حول المواد الخلافية في الدستور، وإصدار إعلان دستوري جديد يشارك في كتابته رؤساء محاكم؛ النقض، الدستورية مجلس الدولة، وتأجيل الاستفتاء. والثاني عقده الرئيس مع نائبه بحضور وزير العدل لبحث الاقتراحات؛ وذكر الوزير، أن الرئيس تعهد له حال اتفاق القوى السياسية على تعديل أي جزئية في الإعلان الدستوري، أو تأجيل الاستفتاء فسيفعل ذلك، معتبرًا الخطاب الذي دعا فيه الرئيس كل القوى الحضور إلى القصر للحوار، مع رفضه التراجع عن الدعوة للاستفتاء على الدستور، تضمن قدرًا من الاستجابة، عملًا بقوله تعالى: "موتوا بغيظكم"!
وقال الصحفي الأشهر إبراهيم عيسى:

- قال وزير العدل أنه سيتقدم باستقالته فورًا، حال فشل الحوار.. فناداه الصحفي عبر برنامجه:

- يا سيادة المستشار وزير العدل استقالتكم تأخرت كثيرًا؟ اعتبر الحوار مع محمد مرسي العيّاط؛ رئيس الجمهورية فاشلٌ، وأرحنا سعادة المستشار، وتقدم باستقالتك فورًا، وعلى مسئوليتي؟ إنَّ الرئيسَ لم يصدق في وعد، ولا أوْفى بعهدٍ منذ تولى منصبه حتى الآن، يا سيادة المستشار ماذا تقولون لأحفادكم؟ لشيبتكم حقًا عليكم؟ اقتربتم من الحاقَّة؛ فالموت علينا حقٌ، ما كنَّا نظن أن السلطة تفعل كذلك في الرجال الكبَّار؟ ما كنّا نصدق؟!. مكثتم دهرًا توهمونا أنكم تدافعون عن استقلال القضاء؛ فأصبحتم بمثابة المُحلل لرئيسك الفرعون الذي رفض التراجع عن الدعوة للاستفتاء على دستوره الإخواني، دستوره الغير الشرعي الذي ولد سفاحًا، رغم المعارضة الشعبية الكاسحة الخاسئة للعين؛ وقال:

- تلك جماعة؛ عمياء صماء خرقاء؛ سياسيًا طبعًا، كاذبة.. فناداه مجاهد مُبتهجًا وهو يتابع حديثه:

- فيك الكفاية يا فلان!.

ولمّا ذهب للبرنامج الآخر؛ يسمع الأخبار وجدها محزنة؛ منطقة قبر عُمير بشمال سيناء، شهدت أمس انقلاب مدرعة محملة بالجنود قالت وزارة الداخلية؛ أن المدرعة كانت تقوم بتأمين إحدى القوافل المتجهة إلى منفذ رفح،

وأثناء سيرها بسبب وعورة الطريق، أو قلة الكفاءة على الأصح، اختلت عجلة القيادة في يد قائد المدرعة؛ ما أسفر عن مصرع نقيب ومجند، وإصابة ملازم وخمسة مجندين..

الاستقالات تتوالى من ماسبيرو؛ رئيس قطاع القنوات المتخصصة تقدم باستقالته احتجاجًا على سياسة وزير الإعلام الإخواني لأخوته للتليفزيون:

- هناك انحيازًا للتَّيار الديني في التغطية، وهو ما يرفضه كمسئول عن العمل الإعلامي، وبدت عملية الأخونة من خلال الضيوف والكوادر التي يتم الدفع بها داخل المبنى، علاوة على الطلبات المتوالية بإحالة كل من هو ضد سياسة الوزير للتحقيق.. وفي بيانٍ أصدره عدد كبير من مذيعي ومذيعات التليفزيون للتنديد بـ أخونة الإعلام الرسمي في ظل وجود قيادة إخواني في منصب وزير الإعلام:

- التلفزيون المصري ملك لشعب مصر، ولن يكون أبدًا بوقًا لسدنة الحكم، ونرفض الضغوط التي تمارس علينا منذ شهور.

هاتف "أوباما" الرئيس محمد مرسي معربًا عن قلقه العميق لمقتل وإصابة المتظاهرين؛ وفي بيان البيت الأبيض أمس" أوباما" شدد في اتصاله بمرسي على ضرورة أن يوضح القادة السياسيون في مصر لأنصارهم أن العنف غير مقبول، أوباما رحب بدعوة د/ مرسي للحوار مع المعارضة لكنه أكد على ضرورة أن يتم هذا الحوار دون شروط مسبقة.. فقال الصحفي

قارئ الأخبار؛ ومقدم برنامج آخر النهار، يخاطب أوباما عبر شاشته على الهواء:

- وأنت مالك؟! بشروطٍ أو من غيرِ شروطٍ وأنت مالك؟! هذا شأننا؛ هل مسموحا لنا التدخل في خاصة أمريكا وشأنها الداخلي؟! وتوقف يبلع ريقه، ليواصل قراءة:

- نظم مئات الصحفيين وقفة احتجاجية، ومسيرة للمطالبة بإسقاط الرئيس محمد مرسي، ومحاكمته بتهمة قتل المتظاهرين سِلْمِيًا، والتضامن مع الزميل الحسيني أبو ضيف الذي يرقد حاليًا بمستشفى الزهراء الجامعي في حالة حرجة؛ د. قنديل رئيس مجلس الوزراء: أسعار بيع الغاز السائل" البوتاجاز " بـ ٨ جنيهات للأسطوانة سعة ٥، ١٢ كيلو جرام؛ تسليم مستودع التوزيع للمستهلكين داخل البطاقة التموينية مقابل ٣٠ جنيهًا لسعرها خارجها، فهلل مقدم البرنامج يتندر:

- أيها المصريون التعساء (أقصد السعداء) وضحك، دولة رئيس الوزراء حَلَّ لكم أزمة البتوجاز بمضاعفة سعرها وتوزيعها على البطاقات التموينية من المستودعات، وجأر:

- يا ناس، ارحموا من في الأرض؟.. ماذا تعملون في عَمّي/ إبراهيم أكثر مما هو فيه؟! الرجل مخنوق، يمثل لسكان العشوائيات:

- أحذركم ثورة الجِياع، أحذركم من القادم؟ وتابع يقرأ:

- فضيلة الشيخ حسان يعتذر للقضاة، ويعرض نفسه للوساطة؛ قدم الداعية السلفي، فضيلة الشيخ فلان اعتذارًا إلى قضاة مصر عن أي خطأ صدر من أبناء التيار الإسلامي، وقال خلال مؤتمر نظمته جمعية سماحة الإسلام بمدينة الغردقة أمس الأول، أنه على استعداد للوساطة بشأن الإعلان الدستوري بين القضاة والرئاسة، ونفى انتمائه لأي حزب أو جماعة:

- انتمائي الوحيد للإسلام، وحذَّر:

- مصر ستغرق إذا استمرت الحِدَّة في الاختلاف، ولن تنجو من أزمتها إلا بتجرد كل أبنائها من القوى السياسية المتصارعة؟ وتصحيح الانتماء الحزبي لله ولمصر الوطن؟ وطالب بعدم محاسبة الإسلام بأخطاء المنتسبين له:

- كل من يتواجد على أرض مصر معصوم الدم، له حرمته، وكرامته، وفكره، ومن حق مصر أن تصون دماء أهلها، هذه الدماء دماء زكية وغالية، ولا يوجد سبب لتحليل سفكها.. فهلل الصحفي مقدم البرنامج:

- الله يفتح عليك يا شيخنا.. فنادى مجاهد الصحفي غاضبًا:

- شيخٌ لأمثالك يا محمود!.. وتابع لزوجه بخصوص الداعية:

- هذا يعتبر نفسه دعوةً وحده؛ كان له جدول معنا؛ في أنصار السنة، ولا يزال يخطب في مساجدها، فجعل له جدولًا منفردًا؛ وهو لا يعدو كونه

خطيبًا طلق اللسان، يؤجج مشاعر البسطاء بالأماني، ويركب الرائجة، هرول لسلطان الإخوان.. وقرأ مقدم البرنامج:

- وفاة عمّار الشريعي متأثرًا بأحزان الوطن الجنازة اليوم في " سمالوط " والعزاء بعد غد في القاهرة، نجوم الفكر، والفن، والثقافة استقبلوا رحيل عمار الشريعي بحزنٍ وألمٍ شديدين، الشاعر الكبير سيد حجاب:

- لم أستطع مغالبة دموعي، ولم أتمكن من التعليق على الخبر الحزين، بينما أسرع الحجّار إلى المستشفى، وظل يقرأ القرآن ترحمًا على الموسيقار الراحل الذي ربطته به علاقة تمتد نحوًا من ثلاثين سنة.. فهاتف الأبنودي يعلق للبرنامج:

- وفاة عمَّار الشريعي بالنسبة لي بمثابة سقوط سرح عظيم، وصديق غالٍ، وفنان لا يعوض؛ وحتى الآن لم أستوعب فكرة رحيله؛ فاستنكرت الزوجة:

- سبحان الله! ألا يعلم هؤلاء ٠٠" فإذا جاء أجلُهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون"، أكان يريد الله أن يستأذنه في قبض روحه ؟!.. فقال مجاهد يُحيّدُها:

- يقصد أنه لم يهتدِ للحكمة من رحيل صديقه لِيتركه وحده في فتنة عمياء، وكان يحتاجه ظهيرًا له يقويه. فسألته:

- وهل قراءة القرآن ينتفع بها الميّت؟

- هذا أمر مُخْتَلفٌ فيه؛ لكن الدعاء، والصدقة، وعلمٌ يُنْتَفَعُ به أمر ثابت.

- وأين العلم الذي يُنْتفعُ به هنا؟.. فضحك من قلبه؛ فسيضطر للجهر برأيه:

- أنا أحب سماع أمّ كلثوم؛ في.. فات الميعاد وبقينا بعاد؛ يخطر بقلبه لقاء م أمنية؛ ولأنه أوقع نفسه في محيط الشك أتبع يُعمي عليها؛ وأحب شادية في سيدي الحبايب يا ضنايا أنت، وعبد الحليم، وصباح، ونجاة الصغيرة، وشيرين في ما شربتش من نيلها، وأغنية حبيبي ساكن في السيدة وأنا ساكن في الحسين وعشان أنال كل الرضا؛ يوماتي أروح له مرتين.. وقهقه فجأة من سجية التفاني المبهجة هذه! فقالت تؤنبه:

- أنت هـ تقول لي؟! م أنت فاسق؛ فتحدث في صدق حالم:

- أنا يُسعدني كُلُّ حالة مُخْلصة؛ لَحنٍ الجميل، أو حالة حب؛ أو ما شابه؛ ولا أستوعب أبدًا أن جموعًا حاشدة؛ رجالًا ونساءً، قعدوا يطربون لحالة كأم كلثوم أنهم في النَّار بسبب طَرَبهم، صح أن رسول الله دخل بيت أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وعندها جاريتان تغنيان فلم ينههما، ولمَّا دخل أبو بكر فانتهرهما قال له: دَعْهما يا أبا بكر؟.. أتمنى أن أقع على كل ما قيل في الموسيقى والغناء فأدرسه، فأنا لا أطمئن إلى فتاوى الذين يتظاهرون اليوم بالورع لاجتذاب العامة؛ كانوا يقولون بحرمة التليفزيون فلما ظهروا فيه سكتوا عنه.. قالت:

- هم يتوجهون لأصحاب البيوت؛ كما يتوجه إليهم بالمسلسلات، والأفلام الهابطة.

- قلتِ؛ الأفلام والمسلسلات الهابطة؟ إذن ليس الفن الجيد حرامًا، هؤلاء يتوجهون لنساء البيوت لينظرنهنَّ.

- وأنت ألا تنظر؟ ذا أنت عينك تطبّ فيها رصاصة؟ فأقسم:

- والله؛ لا أشتهي السوء ولا يخطر لي ببال.. فصوبت أصبعيها السبابة والوسطى تجاه عينيه تهدد:

- لن ترجع إلا أن أخسأ هاتين ؟!.. فواصل حديثه عن الموسيقى والغناء:

- الأمر يحتاج تفصيلًا؛ فأرى أنهما من المباح، ما لم يشغلا عن فريضة، أو يوقعا في حرام؛ التحريم ينصبُّ إذا ما انحرفا بالنفس لتهيئتها لمجونٍ أو حرام، وأزعم أنهما مندوبان إن صفا بالمشاعر.. ورجعا لشاعر العامية الذي يحكى للبرنامج:

- تلقيت اتصالًا تلفونيًا من عمار منذ ثلاثة أيام، ودار بيننا حديثٌ طويل، وسألته عن قرار علاجه على نفقة الدولة فرد:

- أظنهم قالوا هذا الكلام ذرًّا للرماد في العيون ولن يصنعوا شيئًا، واعْتَبره " طَقَّ حَنَكْ " وتطرقنا إلى الأوضاع التي تمر بها مصر فأكد لي مدى

فخره بالشباب، وتحدثنا عن الذكريات الجميلة التي جمعتنا كشاعر وموسيقار، وأحسست به ينام؛ أنت تتثاءب؟ قال:

- تصبح على خير.

- رحم الله عمارًا، وألْهَمَ زوجه وابنه الصبر والسلوان؟.. وختم مقدم البرنامج المداخلة مع محدثه.

- نفد بحر النغم؛ حاز الراحل العديد من الجوائز من دول أجنبية، وعربية، وجائزة الدولة للتفوق في الفنون من المجلس الأعلى للثقافة، وشارك عَمّارُ في أحداث ثورة يناير، وكان حريصًا على التواجد في ميدان التحرير برغم متاعب قلبه التي زادت في الأيام الأخيرة، يبدو أن قلبه لم يحتمل ممارسات الإخوان فلقي ربه بالأمس، آخر ما قاله قبل الوفاة:

- عليه العوض فيكي يا مصر؟؟

- ماشي الحال، يا خال فيه بيننا لقاء قُريب؛ نجلس فيه إلى الخال ننصت لشعره الجميل؛ نحن في مأزق.

- إن كان في العمر بقية؛ الشاعر.

- لا؛ ربنا يعطيك طول العمر يا خال ؟!..

كان المرابطون في ميدان التحرير قد وصفوا خطاب الرئيس بالانتحار السياسي لتجاهله وقائع اعتداء ميليشيات الإخوان على المتظاهرين السلميين أمام بوابة قصره، وتجاهله مطالب الغاضبين؛ لمّا انتهى الخطاب هتف المتظاهرون: يسقط، يسقط حكم المرشد.. وُجُوهُ الطبخ الإخواني سلقوا دستور الغرياني.. وأصروا على استكمال الاعتصام حتى تنفيذ المطالب.. وأعلنت جبهة الإنقاذ رفض الحوار الذي اقترحه د/ محمد مرسي٠٠دعوة لا معنى لها، حواره المقترح سيعقد في ذات اليوم الذي يُصوّت فيه المصريون في الخارج.. فتحدث مجاهد إلى زوجته:

- هؤلاء لا يعتبرون بما حدث لـ مبارك؛ وزير العدل ذو الهوى الإخواني أبلغ مرسي صراحةً، أنه ليس لديه قضاة يشرفون على الاستفتاء؛ محتاجون إلى ثلاثة عشر ألف قاضٍ، وليس لديه سوى ألفين، أعتقد أنَّها نهاية الإخوان.

امتلأ نادي القضاة بالقضاة فور إذاعة الخطاب الذي استفز، حتى من كان قد أعلن المشاركة في الإشراف على الاستفتاء؛ وقال وكيل نادي القضاة:

- غرفة عمليات النادي مازالت تتابع موقف قضاة الأقاليم، اتصالات هاتفية كثيرة نتلقاها من قضاة يؤكدون تراجعهم عن المشاركة، ويعتقد أن النسبة الإجمالية للقضاة المشاركين في مراقبة الاستفتاء لن تتجاوز ٠/٠١٠

فسألته الزوجة:

- وهل سننزل لنقول لا أم نُقاطع؟

- والله لا أدري، ننتظر ما تنتهي إليه جبهة الإنقاذ.. قالت:

- جبهة الإنقاذ هذه لا تصلح لشيء؛ لا يفلحون إلا في الرفض وعقد المؤتمرات.. فردَّها في حدة:

- انتبهي؟ أنت ترددين ما يروجه الإخوان؟ هم يُبَرّرُون فشلهم بتوجيه اللوم لجبهة الإنقاذ، والجبهة ليست في سدة الحكم؛ الإخوان بأيديهم السلطة، ويفشلون في إدارة شئون البلاد، ويُرَوّجون أن الكل في الخيبة سواء؛ ليرضَ الناس بالأمر الواقع.. وقال:

- اسمعي؟..

جعلت تتحدث بفشل الكل، وأنها حيرانة، ولم تعد تعرف شيئًا، وعن إحساسٍ بالإحباط، وفقدان الأمل؛ جرحى، وبكاء للثكلى، وخطفٌ، وسرقة، وقتل، وشهداء، وجنازات، تشعر أن أيام السواد زمن الإخوان قابلة للازدياد.. قال اسمعي:

- هذه رسالة وجيزة؛ أبيات من شعر العامية لأحد الشعراء، وقعت عليها بإحدى جرائد المعارضة، وأنا أعسس للأحداث، آزرت قناعتي؛ أن هذا الشعب يصبر للنهاية كي لا يكون هناك عذْرٌ؛ كانت الرسالة بعنوان: قُصْرُ الكلام؛

لو كنت بيأس؛ مكنتش عشت لنهايتك ولا كنت رغم الهموم؛ أقدر أكون ساخر

وبإيدك بتكتب في آخر فصل فِـ حكايتك وأنا الحكاية؛ إللي مالهاش فِـ الحياة آخر

ففاضت بالدمع عينيه؛ إذ وجد مِثْله؛ يبشر بنهاية الذين تأكدت له حقيقتهم حين قعدوا للحكم.

* * *

ولمّا تأخر اتصال مدام أمنية يوم مجيئهم لتسليم الأشياء لدار الأيتام، وأنهم يخرجون للسفر عَقَبَ صلاة الفجر، إذ الطريق حينئذٍ رائق من القلاقل والمظاهرات، فتأخر اتصالها إلى قرب الظهر، والمسافة يقطعها المسافر المُقِل في أقل من ذلك؟ فاتصل ليطمئن؛ فقالت:

- عملتها السيارة؛ حدث لها عطل عند "سندوب".. قال:

- أين؟ قالت:

- عند بنزيمة قَابِل، جنب معسكر الأمن المركزي، فتركت الزوج جنبها؛ وركبت تاكسي، أنا الآن موجودة بشقة الوالدة؛ فخطر لقلبه؛ مساكين معاشِرُ الرّجال؛ النساء ما عليهنَّ إلا أن يجلسن كأميرات؛ ويشقى الرجال!.. قال:

- أحْزَنِّي ذلك؛ سأذهب بسيارتي إلى الزوج لأعاونه، فأين هو الآن؟.. قالت:

- تركته يتصل بزملائه بورشة الصيانة التابعة للجيش، ليرسلوا له من يقوم بسحبها إلى ورشة الصيانة.

- وأين الورشة؟

- في جديلة، بمجرد قدومه سيتصل بك؛ يُحدد متى نتقابل بشقتنا بمدينة السلام.. وقالت:

- الشقة بأول شارع " ١٠ " الدور الثالث، ثاني عمارة وأنت قادم من شارع عبد السلام عارف من ناحية الإستاد.

- هو أول شارع متفرع من شارع عبد السلام عارف؛ أنا مازلت أعرف الشقة، البلكونة لها مِظَلةٌ.. فصححت له:

- لا، المِظلَّة في العمارة الأولى التي بالواجهة، نحن العمارة التي خلفها، اتصل عندما تقترب، وصف لي السيارة، لنخرج للبلكونة فنراك وأنت قادم؟

- السيارة فيُورا ٢٧ زيتوني، سيارة طيبة! تتحمل أخطائي في القيادة، لم أُغيْرها منذ أن أشار عَليَّ الزوج بها.. فاتصلت على الموبايل حين الصلاة، فردت الزميلة الرسول، وكان لا يأخذ الموبايل معه إلى المسجد حتى لا يشْغَلهُ؛ ويأمر كُلَّ أحدٍ أن يرد عليه؛ ويخبر حَبِيًّا:

- ظاهري كباطني؛ ليست لدي أسرارٌ.. وعاد فأخبرته الزميلة دَهِشَةً، وكانت لا تعلم أن العلاقة لم تزل مستمرة:

- مدام أُمنية اتصلت، فقلت لها أنك بالمسجد، فقالت سأعاود الاتصال؛ فبادر هو به، وحاول السكينة، ووقف إلى شباك الحجرة آخذًا ناظريه للخارج؛ وأخبر:

- الجماعة هنا جميعًا يسلمون عليكِ؛ مدام فلانة، ومدام فلانة، ومدام فلاتة؛ يحصى المتزوجات، والأستاذة فلانة، ولم يرد أن يؤذي الأخيرة بوصفها آنسة وكانت على أبواب الخمسين؛ ولم تتزوج بعد، والأستاذ فلان، والأستاذ فلان؛ فاستوقفته:

- منْ فلانة ؟؟.. وحذفت عنها لفظة الأستاذة، فاستمر مؤكدًا يبتسم:

- الأستاذة فلانة؛ وذكر الاسم كاملًا، تَذْكُرِينَها؛ أحسن من في الإدارة سمْتًا ودقة في العمل؛ وَثَبُتَ يثني على الزميلة فأجابت باقتضاب:

- لا أذكر، ولكن سَلِمْ على الجميع؟ سنكون أنا والزوج في شقتنا بمدينة السلام بعد نصف ساعة، ننتظرك هناك.. فأخبر:

- سآتي بالسيارة التي تحمل الأشياء إلى دار الأيتام، ونكون عندكم في الواحدة.. فعادت مَرِحةً:

- عندما تقترب، اتصل على الموبايل، لنخرج إلى البلكونة فنراك؟..

فحَضَرَ مدينة السلام؛ فتحدّثَ إليها خاشعًا:

- أنا الآن – تقريبًا - جنْبِكم، سَلِمِي على الزوج؟ أَسفُ لعدم اتصالي به؛ ليس معي رقم موبايله؛ ونزل الشارع هُوَينًا من شِدة الشوق، وأنَّه مُراقبٌ، ولم يقْدِرْ من الحياء أن يبحث عنها في علٍ..

ركن سيارته خلف العمارة، وعاد إلى السيارة نصف النقل؛ واشتغل يعاون السائق ويشير له، حتى أوقفاها حَذْوَ الرصيف تلقاء الباب مباشرة، وترك الشارع يَمُرُ، وصعد السلم؛ وكان من التوتر؛ لا تكاد تحمله قدماه، وكان قد شدد على السائق ألا يقبل منهم نقودًا أبدًا، وأن يخبر أنَّه ما جاء إلا راغبًا في الخير؛ وسيتولى هو إعطاءه؛ ولن يُقصِّرَ معه؛ وكانت السيارة قد جاءت محملة ببضاعة، أرسلها زوج إحدى بنات أخته يجلس معه بالمسجد يوم الجمعة يتعلم القرآن، يعمل بمحل للأدوات الصحية، فحضرت السيارة محملة ببضاعة.

راقب السُّلَمِ بعين الفَحْص فرآه؛ ليس بالضَّيق فينبئ عن فقر، ولا بالفسيح جدًا فينبئ عن رَفَاهَةٍ، فهو وإن كان إلى التواضع أقرب، إلا أنه أَمْتَنُ من سُلَمِ بيته وأفسح؛ وكان قد حرص على أن يَلْبَسَ أحسن ما عنده " بدْلَةً جديدة " لم يلبسها إلا مرة أو مرتين،ُقماشُها غالٍ، جلبتها له أم الزوجة من السعودية أثناء العمرة، وجلبت مثلها لابنها الطبيب، فحالفه الحظ في تفصيلها، أكثر مما حالف الطبيب؛ محبوكة في غير ضيق؛

مريحةً في غير هطل، إذا لَبِسها لم يشغله - كل الوقت - إعادة ضبطها عليه باختصار " بَدلةٌ راضيةٌ "، وافقها - للحظ أيضًا - بروفل غالٍ أعجبه فاقتناه؛ ولم يأبه لسعره المرتفع جدًا بالنسبة لسعر بروفل؛ له ياقة، وبه خط رصاصي بلون" البدلة " فلبسه تحتها فازدانت به وازدان بها، ولبس نعلا راقيًا مريحًا، رصاصي كذلك؛ في عبارة واحدة، بدا ذو ذوق عالٍ في غير كُلْفةٍ أو فخر؛ فعاونه اللباس على اكتساب شيئًا من الرصانة والثقة؛ وكان مذهبه قني القليل الغالي خيرٌ من الكثير الرديء البَخْسِ؛ كان شديد الحساسية، والموقف صَعْبٌ جدًا؛ فصعد السلم في رفقٍ يجاهد للسكينة، راقب الطوابق، فوجد بكل طابق بابين يفتحان على السلم، فقدّر أن الطابق سعة شقتين، يعني؛ عمارة ليست بالفاحش؛ بل متوسطة الرفاهة.

رقى يحصى الطوابق: الأرضي، فالأول علوي، فالثاني علوي، فالثالث، فقام قلبه يدق دقًا شديدًا، فمكث هنيهةً.. كانت الأبواب تحمل أسماءً، وبعضها لا تحمل، فـ قرأ الاسم؛ دقَّ الجرس برفقٍ؛ فسمعه لا يعمل، فدقَّ الباب، فلمَّا لم يُفْتح؛ جمع قبضته وطرق على فترة طرقًا أشدّ، ففتح الباب فجأة، وبرز شَخْصٌ استدعاه للدخول؛ فنظر من طرفٍ خفي فأبصر مدام أُمْنيَةً تقف قيد خطوات وراءه؛ فَعلمه الزوج، وكان حتى هذه اللحظة لم يره إلا مرة في غير فحص؛ فانقلب باشًا؛ ومال بصفحة وجهه يمس خده بخده على الجانين؛ وسَلَّمَ، فانصرف الزوج، فغضَّ بصره، وقال يخاطبها:

- السلام عليكم؛ كيف الحال يا حاجة؟

- وعليكم السلام؛ إزيك يا أستاذ مُجاهد؟! وسألت مُبتهجة؛ أيه يا عم؟!! وأتبعت في اهتمامٍ تسأل:

- أَوَقفت كثيرًا؟؟.. فابتسم:

- ضربت الجرس فعلمته عَطْلانًا، فطرقت الباب؛ ولم يحصِ الطرق للحرج، قالت:

- آسفون !.. كان لا يزال ساكنًا خلف الباب، فطلبه الزوج، وعاد فاقتاده لأشياء مجموعة في الصالة، وأشار إلى حقيبة جديدة عرض لها:

- أولاً، هذه الحقيبة خاصة بسعادتك، بها بعض أشياء، وبدلة كانت تصلح لي عندما كنت في مثل عودك، فبُوغت؛ ألجمته المفاجأة؛ وكان لا يخال أن يعْرضَ لشيء كهذا أبدًا! لم يشأ أن يحرجه؛ فقد تحدَّث في فائض مودة، وتَقَدّمَ إليه بشيء عزيزٍ؛ فندا فاه بابتسامة خليطها الأسى والإشفاق معًا؛ وتركه يواصل، ولم يُعلن اعتراضًا.

- وهذه خاصة دار الأيتام.. منضدة فبْرٍ، رأس ماكينة خياطة بالقاعدة والماتور؛ فهللت أمنية:

- كنتُ أخِيط عليها بنفسي؛ وهي نافعة للبيت؛ فبُغِتَ ثانية فقال في نفسه:

- لأي بيتٍ تَعْني؟ لأهل بيتي؟؟.. فتغافل عرضها فسكتت؛ وتابع الزوج:

- وهذه حقيبة بها أواني مطبخ، وأشار إلى كرسي بائس ركيكِ الصناعة، وهذا كرسي صغير للمطبخ صناعة يدوية خشب متين، وهذه منضدة صغيرة بزجاجها، وهذه لِوَحٌ عليها آيات قرآنية.. وتوقَّف:

- وربما لم أحصِ شيئًا فأذكره.. ومضى به إلى حجرة داخلية؛ علمها النّوم؛ فالسقف مُعَلْقٌ به طبق من الأطباق التي تعلق - عادةً - للزينة في تلك الحُجرات، ووجد على الأرض مرتبة مبسوطةً فوقها مِخَدَّة طويلة لشخصين؛ فعلم أنها كانت مخْدَع الزوجية، ومِخْدعُهما الحال إذا ارتحلا إلى هنا فباتا في شأن، فاستشعر حرجًا شديدًا للمِضجع المَهين المطروح أرضًا، جنب الباب جنب الجدار الأول للحجرة رأى السجادتين مطويتين جاهزتين للحمل؛ فأشار الزوج إليهما:

- السجادتان؛ الكبيرة والصغيرة، وهذا الطبق، وأشار إلى السقف ونظر، يحتاج لإصلاح وبعض لمبات، لكنّا نحتاج لمن يقوم بإنزاله؛ ويجب فصل الكهرباء عنه، ونحتاج لمقصٍ عازل، وحقيبة العدة تركتها بالسيارة. فتدخلت نشيطة مدام أمنية:

- أعرف كيف أفصل التيار عن هذا الجزء، وهرعتً للمهمة!

تجنب النظر إليها وهو يتمنى؛ وجعل بصره على الزوج يحفى به؛ شاهده كيف هو، وقاس ما بقي له من كفاءة؛ فأسفل العينين جيوبًا تنبئ عن

عِلّة، وتراجع شعر الرأس عن الناصية، إلا النذرٌ، وتبدى قعرها، فخطر لقلبه: أدركه الَكِبرَ، غير أنَّه لحظ لا أثر لخَطّ الشَّيب عنده! وتذكر مدام أمنية مذ كانت فيهم، كانت تعيب كل سائر مهرولًا، أو مَحْنيّ أو مبعثرًا، وتحكي أن الزوج عَلَمها كيف ينبغي للشخص أن يسير نَصيبَ القامة، غير مهرول، وتعتد لبدنه فتقبض قبضتها جميعًا دون إصبع السبابة؛ فتمُده نحو السماء، وتصفه: ألف؛ كان يراقب حركته في هدوء مُسْتَعْلمٌ متى يخْلفه زوجًا عليها في غير ضغينة؟! هِيَ في رياشٍ عَنيّ؛ ليس بالمفرط شبابًا ولا بالعتيد، بنفسج فاتح، لا يتبَدَّى منها غير الوجه والكفَّين؛ في عبارة وجيزة: في لباسٍ سعيد ذي وقار، لمحها أقل سِمْنةً عما كانت تبدو عليه حين كانت معهم، ففرح إذ علمها تعني بنفسها عناية، وأنها تأمل له كما يأمل لها؟ أو هكذا قَدَّرَ لنفسه.

تناول " الطقطوقة "بيدٍ واحدة فمالت، ولم يفطن للزجاج عليها، فنبهه الزوج؛ فضغط أصابعه على الزجاج فحفظه، وهبط السلم نشيطًا بحمولته المزدوجة؛ المنضدة الصغيرة عليها زجاجها في يد، وكرسي المطبخ العمولة وثقله الغير متوقع بالأخرى فتجلد له، وخطا واثقًا كجوادٍ أصيل، فلا يزال شابًا؛ وكذلك عنِيَ برسالته..

- وحضر السائق فضم السجادتين لبعضهما، وكان جسيمًا وحملهما معًا دون مشقة، ونزلا، وصعدا؛ يحمل هو الحمل الخفيف؛ ويترك للسائق الأشياء الثقيلة حتى فنيت الأشياء، ولم يتبق إلا الطبق المعلق بالسقف؛ فوقف حائرًا يفكر كيف يُطال؛ وقد يكون التيار

الكهربائي لم يزل بـه مُتصلًا؛ رغم مـا أخبرت بـه مدام أمْنية؛ فهي ليست خبيرة في الشأن؛ وفجأة تقدم السائق غير هيَّاب؛ كفاه فقط أن يطأ فوق الفراش فيَطوله، فأنْكَرَ عليه في حدة:

- - انتظر؟.. وطوي المرتبة على الوسادة، فنحّاهما في رقة بالغة، ولم يدع السائق يطأ فوق الفراش فيهينه، واللطيف جدًا أنه في إحدى الجولات التي صعد فيها، ونزل، ونتيجة للحركة النشيطة، وكثرة الانحناء والاعتدال، خرجت ياقة "البروفل" من ناحية، فاستقبله الزوج في سماحة، فأعادها إلى موضعها تحت البذلة؛ فأعاده للزينة، فرق قلبُهُ له جدًا؛ واستشعر صفاءً ومحبة خالصة؛ ووجده يدعو له ولـ مدام أمنية بالسعادة، أدْهشَتْهُ تلك المشاعر! فبحث في سرّ الحبّ؛ أكيد يستشعر حقيقة العلاقة - ولو بشكلٍ ما - ميله لزوجه، وميلها له، وكانت منه هذه المحبة؟! أيكون الداعي للحب صفاءُ النُّفوس من الغل؟ أم الإحساس بالجمال؟ أم التعاطف وميل الجنس؟؟ ربما الحب صنيع ذلك كله ؟! قال لنفسه٠٠

- في مروره بالصالة، مرَّ بمقعدين في طريقه ليس من المفروض التَّصدّي لهما، فسأله:

- - أيحملهما مع الأشياء؟

- - لا، أجاب الزوج وانحنى على أحدهما يسرع به إلى الحجرة التي إلى الشرفة، وسعى مُفَرّجًا بين ساقيه أكثر من المعتاد غِبَّ السقوط، فبدا في سعيه المكروب كإنسان الآلة، وأسرع يضعه عنه، رغم كون الكرسي نصف متر مكعب من الحشو المدعم بالخشب، فأبصره واهن العظم جدًّا!! وفي خفة فراشة التقطت م/أمنية المقعد الثاني، أو هكذا بدت في عينه، وانطلقت في استقامة قَدٍّ تسعى خلف الزوج !..

- فاجأه انتهاء المهمة سريعًا، فدهمته الحسرة؛ ينبغي له الآن أن يفارق، ولم ينعم بجلوسٍ، أو حديث؟ ولأنه لم يَنْتَبه حين طاف به الزوج على أشياء الصدقة، نظر يتأكد ألا يكون قد نسي شيئًا، فأبصر في فراغ الحجرة ذاتها المطلة على البلكونة التي دخلاها الزوجان، أبصر كرسيّين منفردين في حالة جيدة من النوع الذي يطوى ويبسط حسبما الحاجة، عوارضه خشب زَّان، فسأل الزوج قبل التصدي لهما.. فأعلمه مسرعًا:

- - لا، هذان مُحْتفظٌ بهما !!.. فاستشعر حرجًا شديدًا للمرة الثانية؛ ومدَّ الزوج إليه يده بطيّة نقودٍ وحدثه في رفق:

- هذه، حاسب منها السائق.

- يعني والباقي لي ؟! سأل في نفسه، فأسرع معتذرًا:

- السائق مرسل تطوعًا من قبل أخ يعمل في محل للأدوات الصحية، وهو في طريقه في إحدى ارسالاته، فمر بنا؛ وتعزّز جدًا، ووجه له الدعوة للغداء؛ فأخبر أن عديله ينتظرهما عليه، ولا بد من ذهابه مراعاةً للخاطر؛ فاكتفى بالعرض، وأسرع في قبول العذر؛ فماذا لو دخل على الزوجة دون استعداد سابق أو تمهيد؛ فقد تخذله بإظهار النُّشوز؛ وعدم الحفاوة؛ فالنساء تُجنّهن الغيرة، فيقع في أشدّ الحرج؟ فَقال يُعَمَّىَ عليه عدم اشتداده في الطلب:

- إذًا تبقى لنا زيارة قريبة أدعو لها من الآن.

- إن شاء الله؛ هذه المرة نحن في عُجالة، ننوي السفر بعد صلاة الفجر؛ تركنا البنت في البيت؛ ونخشى أن ندعها وحدها أكثر من ذلك في ظل هذه القلاقل.. فقال يبشره:

- سيريحنا الله من مرسي وجماعته قريبًا.

- ربنا يهدي؛ فوجئ برأيه في إمْهال تلك الجماعة مع كل ما فعلوه؟ فزهده فجأة؛ إلا أنه حرص ألا يظهر شقاقه..

قبل تسليمه الأشياء حدثته نفسه أن يرى ما في الحقيبة التي قيل أنها له؛ كانت جديدة، وأنيقة ففتحها؛ صدمته "البذْلة" بخطوطها العريضة!! بِذْلة شاع لِبْسها عصر عماد حمدي فكرهها كرهًا كراهيته أن يُجَعلَ هذا الممثل الطاعن في السن – زمانه - فتى الشاشة؛ وتأكد له أن لِبْسَ فضلة غيره؛ ووضعه فوق

بدنه أمرًا مستحيلاً.. كانت البذلة محفوظة في أكمّة من مُشَمّعٍ أبيض حائل اللون، ووجد معها زمزميه تسد ظمأ مسافر من الماء في سفرة ليست طويلة؛ والمؤذي أنه بمجرد بدو البذلة للسائق المخصص لدار الأيتام؛ رجل كبير كان مُتفقًا أن يذهب بميكروباص الدار لاستلام الأشياء لولا تعارض وقته مع وقت الذهاب للإتيان بأيتام يدرسون خارج الدار، وخشية تأخر رجوعه؛ فتسأله الزوجة: أين كنت ؟، أسرع باستدعاء السيارة نصف النقل من السوق؛ بمجرد بدو البذلة للسائق ومشاهدته يعيدها للحقيبة غير مسرور؛ بادره بتقييمه:

- بذلة مستعملة، فَفَهِمَ أنه يريده منحها له.. قال:
- أريد تسليمها، وجميع هذه الأشياء، وأخذ إيصالًا مُفصلًا مختومًا أني سلمتها للدار، فلست إلا نائبًا عن أصحابها، وأريد أن أنأى بنفسي عن الريب.. فاستمر السائق يحقق لطلبه:
- الأشياء الجديدة – فقط - هي التي يُعطى لها إيصال لأنها تُدْخَلُ المخازن، أما المستعملة كالبذلة فلا يعطى لها شيء، ويجرى معاملتها على أنها أشياء مستهلكة، وفرغ من إنزال الأشياء؛ وحَملها جميعًا داخل دار الأيتام، ورجع إلى السائق ليعزم عليه بالنقود فيكون مُوَفّيًا بعهده، وكان زوج ابنة أخته، لمَّا طلب إسعافه بسيارة قد أفاد:
- أرسلت إلى حضرتك سيارة نصف نقل لونها كذا، تحمل أغراضًا، تقوم بتوصيلها، تمر في طريقها بدار الأيتام؛ ففهم أن السائق أُرسل خدمةً؛ فهو في طريقة، لم يخرج خصّيصًا لهذه المهمة، إلا أنه أبى إلا أن يعزم عليه بالنقود؛ فناوله خمسين جنيهًا هي كل ما في جيبه، وانتظره أن يرجع إليه

منها شيئًا، إلا أن السائق أبدى احترامًا شديدًا له وهمَّ بالانصراف! فَقدّر؛ أنه لو كان مستأجرًا سيارة من بابها باتفاق، فجاءت لنقل تلك الأشياء البسيطة، ما أعطاها أكثر من نصف هذا المبلغ؛ فخاطبه محاولًا كبح غضبه:

- أليس هذا مُبالغًا فيه كأجرة نقل أشياء قليلة كانت في طريقك؟.. فبادر بدفاعه فورًا:
- بل أخذت منّي وقتًا طويلًا، وتأخرت على أصحاب هذه البضاعة، وربما تسببت لهم في خسارة كبيرة، كما أني من قمت بإنزال هذه الأشياء من الدور الرابع، وليس هذا من اختصاص الناقل، ويقتضي حسابًا آخرًا؛ تكلم السائق باندفاع صاحب حقّ أعد نفسه لتلك اللحظة كثيرًا؛ فمقته من فوره؛ وأشار له بالانصراف..

والهموم تتواطأ؛ لقد جرى الوقت؛ وفات مِيعادُ نومه.. واستقبلته الزوجة تحقق:

- أين كنت ؟؟.. فتحدث حزينًا:

- اتصلت مدام أُمنية، السيارة تعطلت بهم جنب معسكر الأمن المركزي؛ عند سندوب.. فهبت ثائرة:

- وأيضًا؛ ذهبت إليهم بالسيارة وحَمَلْتَ الأشياء بنفسك؟؟

- لا، كان معي سيارة نصف نقل، والسائق هو من قام بتنزيل الأشياء، ولم أكن إلا مُرْشِدًا له إلى دار الأيتام.

- أتكذب عليّ؟ أم على نفسك؟ أم على الذي خلقك؟ أنت حر في نفسك، أنت لم تعد تجدِي معك النصيحة. فتابع في خضوعه:

- جاءوا من القاهرة لأجل هذا الشأن، وطلبوني فاستحييت، ولم أستطيع إلا الذهاب.. وبعد هنيهة عنَّ له أن يخبر بهمّه الآخر:

- دعوتهم للغداء فاعتذروا.. فزأرت كلبؤة تدفع عن عرينها:

- أتريد أن تُحرجني؟؟ ألا تعرف كيف تتصرف؟؟ تدعو أناسًا للغداء من غير أن تخبرني، وقبل أن أستعد؟؟

- الرجل اعتذر لأنه نازل عند عديله؛ ويسافرون غدًا بعد صلاة الفجر لأنهم تركوا فلانة؛ وسمى لها ابنتهم الصغرى، وحدها في البيت؛ فاستحييت فقلت: لنا زيارة أدعوكم لها من الآن، قال: إن شاء الله؛ وفرغ من همّه دفعة واحدة.. فقالت تتَنَدَّر:

- أَاا؟ ذا هناك مرات قادمة؟! هذا الموضوع لن ينتهي؛ ذا فيه إصرار؟! فأقسم:

- والله ما دعوتهم إلا حياءً؛ فأنا أحب إكرام الناس.

- لا؛ ليس كل الناس تحب أن تكرم؛ أنت تكرم من على هواك.. فابتسم راضيًا أن غضبها لم يتجاوز هذا الحد، وكانا من بعد زواجهما يسيران في الحياة كقطارين متعاكسين ما انفكا يصطدمان؛ بيد أنّهما بعد ٢٥ يناير، أصبح هَمُّهما الأكبر مصر؛ وغضبهما على الإخوان لسعيهم في تكبيل البلاد، تحقيقًا لمآربهم؛ وأنهم لن يتركوا هذه الفرصة أبدًا، فبات هذا الهمُّ يوحد بينهما؛ ويشحذ هِمَّتَهما.. وتحدث لها نقضَّت لغزل هؤلاء:

- أن إدارة الدولة شأن دنيوي، يجب أن يكون لمن يحقق للناس طعامهم، وأمنهم، لا علاقة له بالوعظ والمنابر، وأن هؤلاء يستثمرون دعوة المساجد لاجتذاب الناس لتأييدهم؛ تَذَرُّعًا للشأن العام.. وقال:

- ذكّرَ الله أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة فقال تعالى " ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل" السورة؛ وأردف٠٠" لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف"..أي فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نِعْمَةً منَّا على قريش، وذلك أنها كانت تخرج في تجارتها فلا يُغار عليها، ولا تُقْرب في الجاهلية يقولون: هم أهلُ بيتِ الله؛ حتى جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة، ويأخذ حجارتها فيبني به بيتًا في اليمن يحُج الناسُ إليه فأهلكهم.. فذكَّرهم نعمته فقال "لإيلاف قريش" أي

ليألفوا الخروج، ولا يُجْتَرأ عليهم " فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف "، قال:

- فرغد العيش والأمن من الخوف، أكبر النعم الدنيوية المحتاجة لتيسير العبادة؛ فكأنه يقول: أعجبوا لإيلاف قريش، ونعمتي عليهم، ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة فقال " فليعبدوا ربّ هذا البيت " فمعرفة الله وطاعته لا يستطيعها إلا مَنْ أمِنَ مِنْ الجوع والخوف، ويُحْتاجُ ذلك للكفاءة.. فسألته:

- فلِمَ يكثروا من ذكرهم أن الشأن ديني وشريعة؟!

- فتابع لذات السياق يؤكد، بل أصرح منه، قول الصحابة لأبي بكر لما ولي أمر المسلمين بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا خليفة رسول الله، ألا تستعمل أهل بدر؟ قال: إني أرى مكانهم، ولكني أكره أن أدنسهم بالدنيا.. وكلما أزمع على الاستقالة قائلًا: أقيلوني أيها الناس فيجيبونه: والله لا نقيلك، ولا تستقيل؛ رضيك رسول الله لأمر ديننا - وهي الصلاة بالمسلمين - ولا نرضاك لأمر دنيانا؟. وقوله - صلى الله عليه وسلم - لصحابته يومًا " أنتم أعلم بشئون دنياكم".. فسألته عن المقاطعة؟ أو الذهاب للاستفتاء على الدستور؛ وقول لا ؟.. أجاب:

- والله لا أدري؟ أنقاطع كي لا نكون إطارًا لشرعية مزيفة؛ أم نذهب لنفضحهم ؟... فذهب بهن جميعًا؛ ذهب بأمَّه، وأمها، وأخواته البنات، وبنات الأخوات؛ وحرض أزواجهن على الذهاب والقول بـ " لا " وشاهد نفير الإخوان، وحشدهم لأتباعهم داخل سياراتهم الخاصة، والميكروباصات، وسمع عناصرهم تدندن في الصف للقول بنعم؛ لأجل الاستقرار والشريعة، وأن مصر تعبت من المليونيات، وسعي العلمانيين، والممثلين، والممثلات، أمثال العارية إلهام شاهين، ومخرج الإباحية؛ خالد يوسف للقول بـ لا؛ كان العُنْصُرُ الإخواني يتكلم في الصف الواقف فيه انتظارًا لدخول اللجنة، فنظر إليه حين شرع في تدليسه، وقال وهو يعلم أنه يسمعه:

- لا حياء.

وذكرت له أُمُّ الزوجة حين خروجهما من اللجنة:

- شاهدت فلانة، وفلانة؛ من نساء الإخوان، قاعدات في اللجنة، وضحكت؛ تعني أن النتيجة معروفة سلفًا، ولم يكن هناك جدوى من حضورهم وقولة؛ لا.. فازداد غيظًا من السلوك السَّمِج لتلك الجماعة!..

ولمّا دعت جبهة الإنقاذ إلى مليونية؛ احتجاجًا على تزوير الجولة الأولى للاستفتاء على الدستور، لم تبدِ جماعة الإخوان اهتمامًا كبيرًا بالمليونية، ووصفت الدعوة بالإفلاس السياسي.. فكانت أهم عناوين صحف الثامن عشر من ديسمبر ٢٠١٢ كلاعب وسط مجيد: مصر ضد التزوير.. وكلاء النائب العام: لن نعمل تحت رئاسته.. الدستورية ترد الصفعة للرئاسة بالإنجليزية.. حبس عبد الله بدر سنة وتغريمه في قضية إلهام شاهين؛ " بدر" لـ " إلهام شاهين " بعد الحكم بحبسه: مازلت أسأل: كم واحد اعتلاكِ باسم الفن ؟.. صحف عالمية لـ " مرسي " رصيدكم أوشك على النفاد.. هالة أمين، وأحمد علاء الدين، مروة سلامة تكتب: اهتمت الصحف العالمية ووسائل الإعلام ومنها الإسرائيلية والإيرانية بالاستفتاء على مشروع الدستور المصري، وجاءت غالبية تعليقاتها على النتائج لتؤكد خسارة تيار الإسلام السياسي، بالمقارنة بنتائج استفتاء مارس؛٢٠١١ صحيفة الديلي تلغراف البريطانية: تشهد مصر حالة من التقسيم الاجتماعي لم تشهده من قبل، والمجتمع المصري على شفا انهيارٍ واضحٍ، وجماعة الإخوان تعتمد على الدعم من قاعدة أقل تعليمًا، وفئة تتسم بضيق الأفق يتم التلاعب بها من قبل رجال الدين المحليين؛ جريدة الصباح.

غضب دولي ضد النظام.. أمريكا: سياسات مرسي"التخريبية" تهدد العلاقات مع مصر.. ألمانيا تجمد مفاوضات إعفاء مصر من ٢٤٠ مليون دولار ديونًا بسبب ديكتاتورية الرئيس.

الوطن: الرئاسة تستعين بـ صديق لعبور حاجز ال ٧٠ ٠/٠ الوطن تكشف: الشاطر يوبخ قيادات القاهرة، والغربية بسبب التصويت بـ لا؛ ويخطط مع الرئاسة لرفع نسبة "نعم" اليوم مليونية ضد تزوير الاستفتاء.. قوى ثورية تطالب بإلغاء نتائج الجولة الأولى، وتدعو لمسيرات إلى الاتحادية..

التحريرتكشف، كيف حرم الإخوان المصريين من التصويت في المرحلة الأولى؛ الجماعة أصرت على عدم مد التصويت ليوم آخر، وأعلنت النفير لشغل الطوابير بعد مَدّ زمن التصويت.

ابن خلدون: أجرينا استفتاءً موازيًا أثبت أن ٦٠ في المائة صوتوا بـ لا..

وكان هذا العنوان هو البالغ في الإيجاز والإيعاز: تزوير، إرهاب، اعتداء على سلطات الدولة، مصر في قبضة البلطجة؛ إنها الحرب.. صحيفة الأسبوع.

* * *